كلية الدراسات الإسلامية والعربية
للبنات بالمنصورة

حولية

كلية الدراسات الإسلامية والعربية

للبنات بالمنصورة

مجلة علمية محكمة

العدد السادس والعشرون

يشرف على تحريرها

أ.د/ محاسن فكري عبد الخالق
عميد الكلية

أ.د/ علي عبده محمد علي
وكيل الكلية للدراسات العليا والبحوث

لعام
١٤٤٦هـ - ٢٠٢٤م

للتواصل مع المجلة والاستفسارات

توجه جميع المراسلات باسم الأستاذ الدكتور: رئيس تحرير المجلة

على صفحة تواصل المجلة على موقع بنك المعرفة المصري على الرابط التالي:

https://bfsgm.journals.ekb.eg/journal/contact.us

أو البريد الإلكتروني للمجلة:

mgirlsmansoura@azhar.edu.eg

أو العنوان التالي:

كلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنات بالمنصورة - شارع الشيخ محمد متولي الشعراوي - عزبة الشال - المنصورة - محافظة الدقهلية - مصر

البحوث المنشورة تعبر عن آراء الباحثين ولا تعبر بالضرورة عن رأي المجلة أو القائمين عليها

الترقيم الدولي الموحد للطباعة

2735-5241

الترقيم الدولي الموحد الإلكتروني

ISSN: 2735-525X

وقفاتٌ مع التصوير الفني

في أسلوب الإمام الأكبر أحمد الطيب

"كلمات الإمام في التسامح والسلام أنموذجا"

إعداد

أ.د. مصطفى مصطفى البسطويسي عطا

أستاذ الأدب والنقد المتفرغ في الكلية

وقفات مع التصوير الفني في أسلوب الإمام الأكبر أحمد الطيب "كلمات الإمام في التسامح والسلام أنموذجا"

مصطفى مصطفى البسطويسي عطا.
قسم الأدب والنقد، كلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنات بالمنصورة، جامعة الأزهر، مصر.
البريد الالكتروني: Mos_Atta 54@yahoo.com

ملخص البحث:

إن لأسلوب الأستاذ الدكتور أحمد الطيب شيخ الأزهر مذاقا خاصا يتميز به عن غيره، سلاسة، وهدوءا، ووضوحا، وقوة. ومن ثم رأيت أن أتوقف مع أحد جوانب الجمال في أسلوب هذا الرجل في محاولة لإقناع القارئ بمدى القوة اللغوية والبيانية التي يتسم بها أسلوب شيخ الأزهر. ودفعني إلى كتابة هذا البحث: الوفاء والتُّقدير لهذا الرجل الثابت على الحق في زمن اشتد فيه غمط الحق ونشطت فيه صور الباطل، واشتمل هذا البحث بعد المقدمة، على التعريف بالإمام الأكبر وجهوده في نشر السلام والفضيلة والتنديد بالتطرف والإرهاب في ربوع العالم، ثم على مبحث يتناول اعتماد فضيلة الإمام في صوره الفنية على التشبيه الذي احتل مركز الصدارة في كثرة الصور الفنية القائمة عليه. وتلاه مبحث يتناول التصوير الفني عن طريق الاستعارة، التي جاءت في أسلوب الإمام معبرة عن المعنى بوضوح وقوة. ويليه مبحث ثالث عن التصوير الفني عن طريق الكناية التي جاءت في أسلوب مشرق معبر عن الصورة بسلاسة ووضوح، وتلا ذلك مبحث رابع يتناول نوعا من التصوير الفني اعتمد فيه فضيلة الإمام على بعض ألوان البديع، وقد لاحظ البحث قلة ورود هذا اللون من الصور في أسلوب الإمام ؛ لأنه يحتاج إلى شيء من التحايل والتكلف، وهما ضد ما يتميز به أسلوب فضيلته من وضوح ومباشرة، وكان مصدر البحث عن الصور الفنية في أسلوب الإمام الأكبر تلك الكلمات التي ألقاها فضيلته في ست وعشرين اجتماعا ومؤتمرا وندوة عقدت في مصر أو في غيرها من بعض دول العالم في المدة من عام ٢٠٠٥ حتى ٢٠١٧م، وجمعت تحت عنوان: (كلمات الإمام في التسامح والسلام). والمحور الرئيسي فيها هو التعريف بسماحة الإسلام ودعوته إلى السلام ونبذ التطرف والإرهاب.

الكلمات المفتاحية: التصوير، أسلوب، الإمام، الطيب، السلام، التشبيه، الاستعارة الكناية، البديع.

Reflections on Artistic Imagery in the Style of Grand Imam Ahmed Al-Tayyeb A Study of His Speeches on Tolerance and Peace

Mostafa Mostafa Al-Bastawisi Atta.
Department of Arabic Literature and Criticism, Faculty of Islamic and Arabic Studies for Girls, Mansoura, Al-AzharUniversity, Egypt.
Email: Mos_Atta54@yahoo.com.

Abstract:

The style of Professor Dr. Ahmed Al-Tayyeb, the Grand Imam of Al-Azhar, is uniquely distinguished by its clarity, calmness, fluidity, and strength. This research seeks to explore one of the aesthetic aspects of his linguistic and rhetorical style to demonstrate the eloquence and expressive power characterizing his speeches. The motivation for writing this study stems from deep appreciation and respect for this steadfast figure who remains committed to truth in an era marked by the distortion of facts and the proliferation of falsehood. After the introduction, the research begins with an overview of the Grand Imam's efforts in promoting peace and virtue and denouncing extremism and terrorism worldwide. The first section analyses how the Grand Imam relies on simile as a dominant artistic device, frequently utilized in his speeches. The second section examines the use of metaphor in his style, highlighting its ability to convey meaning with clarity and strength. The third section explores his use of metonymy, characterized by its vibrant and expressive portrayal of imagery with simplicity and elegance.The fourth section delves into a less frequent artistic device in his style: rhetorical embellishments derived from the science of badi' (rhetorical ornamentation). The research observes that this element is relatively rare in his speeches, as it often involves an element of artificiality and complexity, which contrasts with the Grand Imam's hallmark style of clarity and directness. The primary sources for analyzing the artistic imagery in the Grand Imam's speeches were drawn from 26 meetings, conferences, and seminars held in Egypt and abroad between 2005 and 2017. These speeches were compiled under the title "The Imam's Words on Tolerance and Peace" and focus on presenting Islam as a religion of tolerance and peace while rejecting extremism and terrorism.

Keywords: Imagery, Style, Imam, Al-Tayyeb, Peace, Simile, Metaphor, Metonymy, Rhetorical Ornamentation.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

مقدمة

الحمد لله رب العالمين. خلق الإنسان وعلمه البيان، والصلاة والسلام على رسول الله محمد النبي العربي الأمين، الذي أرسله ربه برسالة السلام. فبلغها بأفصح لسان، وأسمى بيان. فكان - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - أفصح العرب لسانا، وأحسنهم بيانا. أدبه ربه فأحسن تأديبه، وحلاه بالخلق العظيم. صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين.

وبعد:

فإنه لمن حسن حظي أن ظفرت بكتاب يحتوي على كلمات فضيلة الإمام الأكبر الأستاذ الدكتور أحمد الطيب شيخ الأزهر، وهو كتاب بعنوان (كلمات الإمام في التسامح والسلام). وهو كتاب يضم ستا وعشرين من الكلمات أو الخطب التي ألقاها فضيلته في مناسبات مختلفة، وفي أماكن متعددة في مصر وفي كثير من دول العالم في الفترة السابقة التي تقع - على ما أعتقد - في المدة من عام ٢٠٠٥م إلى عام ٢٠١٧م.

ويقع هذا الكتاب في (٢٢٢ صفحة من القطع الكبير).

وحينما قرأت هذه الكلمات راعني قوة الأسلوب، وبراعة التصوير في الكثير من العبارات. فأحببت أن أوضح بعضها للقارئ الكريم حتى يقف على حسن أسلوب الإمام وقوة تعبيره في كلامه. وقد اعتمدت في إبراز هذه الصور وتوضيحها في الأعم الأغلب على مخزوني العلمي المتواضع واجتهاداتي العلمية التي أرجو أن تكون صائبة، وهذا سر قلة المراجع العلمية المدونة في نهاية البحث.

حقا لم يكن الإمام الأكبر الأستاذ الدكتور / أحمد الطيب شيخ الأزهر متخصصا في دراسة الأدب والنقد والبلاغة، ولم يقم - فيما أعلم - طوال فترة عمله في التدريس بالجامعة بتدريس مادة من مواد الأدب العربي أو البلاغة. ومع ذلك فقد اتسم أسلوبه في كلماته التي ألقاها في المحافل

والمؤتمرات التي يضمها هذا الكتاب - فضلا عن كتبه العلمية التي ألفها - بالسمات الفنية الرائعة، ووردت في عباراته الكثير من الصور الفنية البارعة التي صورت المعنى المراد أبلغ تصوير وأتمه، مع جمال الصياغة، ووضوح الألفاظ، وبعدها عن الغرابة والتعقيد.

وفي هذا البحث المتواضع أتوقف مع بعض هذه الصور الفنية التي عبر بها فضيلة الإمام عن المعنى المراد في كلماته في المناسبات التي يضمها هذا الكتاب، وكيف اكتمل بها وضوح المعنى مع جمال العبارة.

وجاء حديثي عن هذه الصور في أربعة مباحث، أولها التصوير الفني عن طريق التشبيه، وثانيها التصوير الفني عن طريق الاستعارة، وثالثها التصوير الفني عن طريق الكناية، ورابعها التصوير الفني عن طريق بعض ألوان البديع.

مع ملاحظة أن ما معي من الكتاب المشار إليه هو عبارة عن صورة منه لم يدون عليها دار النشر ولا سنة الطباعة. وهو أشبه بمدونة تضم كلمات الإمام وخطبه في مؤتمرات ومناسبات مختلفة في الفترة المذكورة.

" وما توفيق إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب "

الإمام الأكبر أ. د / أحمد الطيب

هو الأستاذ الدكتور / أحمد محمد أحمد الطيب. ولد في قرية (قرنة) في محافظة الأقصر في صعيد مصر في السادس من يناير من عام ١٩٤٦م، الموافق للثالث من صفر من عام ١٣٦٥ هـ. وينتسب في أسرة عريقة شريفة مشهورة بالعلم والصلاح، ينتهي نسبها إلى سيدنا محمد رسول الله - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

ويرأس أخوه محمد الطيب الطريقة الصوفية الخلوتية.

تربى فضيلته في ساحة والده الشيخ محمد الطيب.وحفظ القرآن الكريم في صغره، وأتقن العديد من المتون العلمية على الطريقة الأزهرية الأصيلة. ثم التحق بمعهد (إسنا) الديني، ثم بمعهد قنا الديني. ثم التحق بكلية أصول الدين جامعة الأزهر بالقاهرة - قسم العقيدة والفلسفة، وتخرج فيها عام ١٩٦٩م بتفوق، وعين معيدا بالكلية. وله ابن اسمه محمود، وابنة اسمها زينب.

سيرته العلمية والعملية:

حصل فضيلة الإمام على الليسانس في أصول الدين (قسم العقيدة والفلسفة) عام ١٩٦٩م، وحصل على الماجستير في العقيدة والفلسفة عام ١٩٧١م. وحصل على الدكتوراه في التخصص ذاته عام ١٩٧٧م.

وسافر في مهمة علمية إلى جامعة باريس بفرنسا في نفس العام وظل بها لمدة ستة أشهر. وحصل على درجة أستاذ عام ١٩٨٨م،. وانتدب عميدا لكلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنين بقنا عام ١٩٩٠م.

درَّس فضيلته بعدد من جامعات العالم الإسلامي في الرياض، والدوحة، والعين، وإسلام أباد. وعين عميدا لكلية أصول الدين بالجامعة الإسلامية العالمية بباكستان في العام الدراسي ٩٩ / ٢٠٠٠م.وعين مفتيا لجمهورية مصر العربية في الفترة من مارس ٢٠٠٢ حتى سبتمبر ٢٠٠٣م. وتولى فضيلته مشيخة الأزهر في ١٩ من مارس ٢٠١٠م، وهو الإمام الثامن والأربعون من مشايخ الأزهر. وقبلها كان رئيس جامعة الأزهر، وكان عضوا في لجنة السياسات في

الحزب الوطني الديمقراطي. ويشغل فضيلته رئاسة هيئة كبار العلماء بالأزهر الشريف، والمجلس الأعلى للأزهر، واللجنة الدينية باتحاد الإذاعة والتليفزيون، ومجلس أمناء بيت الزكاة والصدقات المصري.

يتحدث فضيلته اللغتين الفرنسية والإنجليزية بطلاقة، وترجم عددا من المراجع الفرنسية الفلسفية إلى اللغة العربية. وله العديد من المؤلفات في الفقه والشريعة والتصوف الإسلامي، منها: (مقومات الإسلام - آداب وقيم - البحث عن السلام - الجانب النقدي في فلسفة أبي البركات البغدادي - مدخل لدراسة المنطق القديم).

ومنذ اليوم الأول لتولي فضيلته مشيخة الأزهر حرص على اضطلاع الأزهر بدوره الرائد عالميا بما يؤدي رسالته الوسطية في أنحاء العالم على أتم وجه في ظل تحديات عظمى إقليميا وعالميا. وشارك فضيلته في العديد من المؤتمرات في كثير من دول العالم... إلى غير ذلك من جهود فضيلته في تعزيز عالمية الأزهر الشريف والتي لا يتسع المقام لسردها والحديث عنها[1]. حفظه الله ورعاه.

(١) عن الشبكة العنكبوتية

المبحث الأول

التصوير الفني عن طريق التشبيه:

التشبيه هو "الدلالة على مشاركة أمر لأمر في معنى"[(١)].

ويعد التشبيه من أولى الوسائل التي يلجأ إليها الأديب للتعبير عن صوره وتجسيم معانيه. وذلك لأنك "إذا مثلت الشيء بالشيء فإنما تقصد به إثبات الخيال في النفس بصورة المشبه به أو بمعناه، وذلك أوكد في طرفي الترغيب فيه، أو التنفير عنه. ألا ترى أنك إذا شبهت صورة بصورة هي أحسن منها كان ذلك مثبتا في النفس خيالا حسنا يدعو إلى الترغيب فيها. وكذلك إذا شبهتها بصورة شيء أقبح منها كان ذلك مثبتا في النفس خيالا قبيحا يدعو إلى التنفير عنها"[(٢)].

ويمثل التشبيه مركز الصدارة بين الوسائل التي اعتمد عليها الإمام الأكبر الأستاذ الدكتور أحمد الطيب في تشكيل صوره الفنية في كلماته موضوع البحث.

- ومن الصور الفنية التي استعان فيها الإمام الأكبر بالتشبيه لإبرازها وترسيخ معناها ما جاء في قوله في الكلمة الموجهة إلى مؤتمر دار الإفتاء المصرية عام ٢٠١٦م:[(٣)].

> "وفقهُ المُواطنةِ إذا نجَحنا في ترْسيخِه في عُقُولِ المسلمين هو السَّدُ المَنيعُ أمامَ الذرائعِ الاسْتعمَارية".

فقد صور فضيلته فقه المواطنة الصحيح المقنع الراسخ في عقول المسلمين وثقافاتهم بالسد القوي المنيع الذي يحول بين دول المسلمين وذرائع

(١) بغية الإيضاح لتلخيص المفتاح - عبد المتعال الصعيدي - طبع ونشر: كلية الآداب ومطبعتها النموذجية بالجماميز - ٣ / ٦.

(٢) المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر - ابن الأثير - تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد - المكتبة العصرية بصيدا وبيروت - ١٩٩٠م - ١ / ٣٧٨

(٣) كلمات الإمام في التسامح والسلام ص ١١

الاستعمار في استغلال الفرص للتدخل في شئون الدول الإسلامية، والسيطرة على ثرواتها، أو تعكير صفو مجتمعاتها، وتصدير السلاح لشعوبها وتفتيت هذه الدول. وتأتي أهمية الجملة الاعتراضية (إذا نجحنا في ترسيخه) في كونها شرطا لنجاح فقه المواطنة وتحويلها سدا منيعا أمام الذرائع الاستعمارية.

- ومن الصور الفنية في أسلوب الإمام الطيب تصويره السلاح النووي الذي ظهر في العديد من بلدان العالم في العصر الحديث بالرعب، وذلك في قوله من كلمته في افتتاح الجولة الرابعة من الحوار بين حكماء الشرق والغرب بأبو ظبي في عام ٢٠١٦م:[١].

"وبعدَ هاتيْن الحرْبينِ(العالميَّتين) سرعانَ ما ظهَرَ سِلاحُ الرَّدعِ النوويُّ كرُعبٍ عالمِيٍّ يتهددُ البشريةَ صباحَ مَساءَ".

فقد صور السلاح النووي الذي شقيت به البشرية في الثلث الثاني من القرن العشرين بالرعب المخيف الذي يتهدد به الإنسان والحيوان والجماد في كل دول العالم، ويخشى من القضاء به عليه في أي وقت من أوقات الصباح أو المساء. وقيمة ذكر فضيلته لكلمتي الصباح والمساء تكمن في أنهما يفيدان استمرار خطر السلاح النووي، وأن رعب البشرية منه لا ينقطع في أي وقت، وأنهم يعيشون بسببه في خوف دائم.

- ومن الصور الفنية الجميلة في أسلوب الإمام تصويره لتعاليم الرسول - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - وتوجيهاته السديدة للمسلمين بالذخائر التي يجب أن يستعين بها المسلمون لتحقيق الهداية والنجاة في الدنيا والآخرة، في قوله في كلمته التي ألقاها بمناسبة المولد النبوي الشريف عام ٢٠١٦م:[٢]

" بقِيَ منْ ذخائرِ هذه السِّيرةِ الزكيةِ الكثيرُ مِما تفْتقرُ إليْه الإنسَانيَّة اليوم، وتحتاجه احتياجَ الأعمَى إلى قائدٍ خبيرٍ بالطريقِ، بصيرٍ بمَزالقِهِ ومَهالِكِهِ".

(١) كلمات الإمام في التسامح والسلام ص ١٦

(٢) كلمات الإمام في التسامح والسلام ص ٢٤.

فإلى جانب تصويره تعاليم الرسول -صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ- بالذخائر فقد صور المسلمين -والناس عامة- في شدة احتياجهم إلى هدي الرسول -صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ- وسنته الشريفة بالأعمى الذي هو في أشد الحاجة إلى قائد خبير يهديه إلى الطريق القويم، ويقيه مزالق الطريق ومهالكه. وفي هذه الصورة دلالة على أن المسلمين إذا ابتعدوا عن تعاليم الرسول -صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ- وخالفوا هديه أصبحوا كالعمي بلا هداة يتخبطون في مزالق الطريق وحفره المهلكة.

- وفي صورة فنية بارعة يصور فضيلته الوحي الإلهي (القرآن الكريم والسنة النبوية) بقطب الرحى للحضارة الإسلامية، وبالقلب من الجسد، فيقول في كلمته إلى الشباب في جامعة القاهرة عام ٢٠١٥م:[1]

" أمَّا الوحيُ الإلهيُّ فإنه يُمثلُ في منظومَةِ الحضَارةِ الإسلاميَّةِ قطبَ الرَّحى، ويقعُ منها موقعَ القلبِ من جَسَدِ الإنسَانِ، يغذيه بالحياة ويرفدهُ بالصُّمودِ والبَقاءِ ".

فالحضارة الإسلامية تقوم - في رأي فضيلته - على أسس وقواعد ثابتة أهمها الوحي الإلهي الذي يمثل قطب الرحى، ويشبه العمود الفقري الذي تقوم على أساسه الحضارة الإسلامية، ثم يأتي بعده ما يكتمل به قوام هذه الحضارة من أخلاق إسلامية قويمة، وعقل مفكر منضبط بالوحي. واختيار القلب لبيان أهمية الوحي الإلهي للحضارة الإسلامية اختيار موفق؛ لأن القلب قوام الحياة فلا حياة لأي كائن إلا بقلب حي. وإذا كان موقع الوحي الإلهي من الحضارة كموقع القلب من الجسد فهذا معناه أن الحضارة الإسلامية لن تحيا حياة حقيقية إلا بالسير على منهج الوحي الإلهي.

- ويصور فضيلة الإمام من يستنكرون الرجوع إلى التراث الإسلامي القديم ويتنكرون له بتلك العصابات الهدامة المفتونة المغرمة بهدم كل ما هو قديم. ويصور الجديد الذي يأتي به هؤلاء - إذا كان عندهم جديد - بالرثاثة والضحالة والثرثرة. وهذا ما يدل على انعدام الفائدة

(١) كلمات الإمام في التسامح والسلام ص ٣٢.

من هذا الجديد الذي قد يأتي به هؤلاء. فيقول في كلمته عن الأزهر وحرصه على التراث الإسلامي في كلمته التي ألقاها بمناسبة الاحتفال بالمولد النبوي الشريف عام ٢٠١٦م[١].

" وإنَّ هذهِ العصَابةَ المَفتُونَة مغرَمةًبهدمِ القديمِ، وليسَ في أيديهِمْ جديدً يقدمُونه. وإذا أتوْا بجديدٍ فإنَّما هو الرثاثةُ والضحالةُ والثرثَرة".

وهذه الصورة تدل على أهمية التراث الإسلامي، وشدة الحاجة إلى الحفاظ عليه وعلى سلامته، ومدى الفائدة التي تجنيها الأمة الإسلامية برجوعها إلى هذا التراث والإفادة منه. وأن رجال الأزهر حينما يهتمون بالحفاظ على هذا التراث وإحيائه فإنهم يقومون بعمل نبيل وهدف عظيم. وتصوير الجديد الذي تأتي به هذه العصابة بالرثاثة والضحالة والثرثرة يوحي بفساد هذا الجديد وانعدام فائدته وعدم صلاحيته للبقاء.

- ومن التصوير الفني المعتمد على التشبيه ما جاء في حديث فضيلة الإمام عن الشباب؛ حيث يصورهم بثروة مصر وكنزها الدفين وباعث نهضة الوطن، فيقول في كلمته بمناسبة الاحتفال بالمولد النبوي الشريف عام ٢٠١٦م:[٢]

" فإنّي أوصِي نفسِي أولاً، وأوصِي جميعَ المسئولينَ بأن يضَعوا هذا الشبَابَ نصْبَ أعينُهم؛ فهُم ثرْوةُ مصرَ وكنزُهَا الدفينُ، وباعثُ نهضَةِ هذا الوطنِ المُثقلُ بالهمُومِ والآلامِ، لكنه المفْعمُ بالآمَالِ والثقةِ في الله تعالى ".

وهذه الصورة تعبر عن أهمية دور الشباب في الحفاظ على سلامة الوطن وقوته وتقدم المجتمع والنهوض به إذا أحسنا القيام على أمورهم، ونجحنا في توجيههم واستغلال طاقاتهم على الوجه الأكمل. وسعينا في

(١) كلمات الإمام في التسامح والسلام ص ٢٥.
(٢) كلمات الإمام في التسامح والسلام ص ٢٧.

تخفيف ما يثقل كاهلهم من هموم وآلام. وتوحي جملة (مثقل بالهموم والآلام) بكثرة الهموم والآلام التي تقف عقبة في وجه الشباب وطموحه في الحياة. كما توحي جملة (المفعم بالآمال والثقة في الله) بأن هؤلاء الشباب فادر على تخطي عقبات الهموم والآلام والتغلب عليها بتمسكه بالأمل وبثقته في الله تعالى.

- ويصور فضيلته العقل بالنسبة للحضارة الإسلامية بالأساس الذي تتكئ عليه نصوص الوحي الإلهي قرآنا وسنة، فيقول في كلمته التي ألقاها في جامعة القاهرة في ديسمبر من عام ٢٠١٥م:[١]

"ثم يأتِي العقلُ بكلِّ معَانيهِ ولوازمِهِ مرْتبطًا بالعلمِ والمعرفةِ، ليُمثّلَ في هذهِ الحضَارةِ الأسَاسَ الذي اتكأتْ عليهِ نصُوصُ الوحيِ الإلهيِّ قرآنًا وسُنة ".

وتوحي هذه الصورة بأهمية العقل وعظيم دوره في بناء الحضارة الإسلامية، وأنه الأساس الذي عليه يرتفع بناء هذه الحضارة ويعلو. ولولا قوة هذا الأساس ما صمد بناء هذه الحضارة في وجوه ما يعتريها من عقبات. وربط فضيلة الإمام العقل بالعلم والمعرفة يوحي بأنه يشترط في العقل لكي يمثل أساس الحضارة الإسلامية أن يكون مزودا بالعلم والمعرفة، وأنه لا غني للحضارة الإسلامية عن العلم والمعرفة بجانب العقل لكي يستقيم أساسها ويقوى.

- وصور فضيلته أنبياء الله - سبحانه وتعالى - في اختلاف أزمانهم واتفاقهم جميعا في الدعوة إلى الإيمان بالله والالتزام بالعمل الصالح - بصورة مجموعة من الرجال الصالحين وأبوهم كلهم واحد وأمهاتهم شتى.

فيقول في كلمته التي ألقاها في نيجيريا:[٢]

" إنَّ الأنبياءَ يشبهُونَ إخوةً من أبٍ واحدٍ وأمهاتٍ شتَّى... ".

(١) كلمات الإمام في التسامح والسلام ص ٣٢.
(٢) كلمات الإمام في التسامح والسلام ص ٤٣.

ويوحي هذا التصوير بأن الأنبياء - صلوات الله وسلامه عليهم جميعا - في اختلاف شرائعهم حسب اختلاف الأقوام والأزمان والأحوال التي بعث فيها كل منهم، مع اتحادهم جميعا في الدعوة إلى الإيمان بالله والعمل الصالح هم إخوة في أصل الرسالة والدعوة، والهدف من دعوتهم وبعثتهم واحد وهو إصلاح البشرية ونشر الفضائل والأخلاق القويمة بينهم، وتخليصهم من الأدران التي تفسد عليهم حياتهم وأخراهم.

مثلهم في ذلك مثل مجموعة من الرجال الصالحين خلقهم الله من أب واحد أنجبهم من عدة زوجات. فلا ينبغي أن لا نختلف عليهم أو نتقاتل على اتباع بعضهم دون البعض، بل يجب أن نتفق على الإيمان بالأصل الذي بعثوا من أجل الدعوة إليه وهو الإيمان بالله الواحد والالتزام بما يوجبه هذا الإيمان.

- وصور فضيلته ما يقوم به أتباع الديانات المختلفة ضد عمليات العنف والإرهاب من مجرد إصدار بيانات وإدانات وخطابات الكراهية بمن يواجهون عدوا واحدا ولكنهم يعملون في جزر منفصلة دون توحيد جهودهم ودون اتفاق بينهم، مما يجعل عملهم يذهب هباء بعيدا عن التأثير الحقيقي في هؤلاء الأعداء، فيقول في كلمته التي ألقاها في لقاء حكماء الشرق والغرب في جنيف بسويسرا عام ٢٠١٦م:[(١)].

> " لمْ تعد تكْفي تلك الإداناتُ والبيَاناتُ التي تصْدرُ من أهلِ الأديَانِ ضدَّ عَمليَّاتِ العُنفِ والإرهابِ وخِطاباتِ الكرَاهيةِ، وكأننا بهذا نعملُ في جزرٍ منفَصَلة ".

وتوحي هذه الصورة بضرورة مواجهة موجات العنف والإرهاب بطرق أخرى ذات تأثير قوي ضد من يقومون بهذه الأعمال غير مجرد الإدانات وإصدار البيانات وخطابات الكراهية التي لا تأتي بالثمرة المرجوة في مواجهة هؤلاء المفسدين. بل يجب التنسيق بين القيادات الدينية والسياسية من أجل إيجاد وسائل مشتركة للقضاء على هؤلاء الخارجين.

(١) كلمات الإمام في التسامح والسلام ص ٥٣.

- وصور فضيلته الاتحاد السلمي بين أتباع الأديان في مصر بمجموعة رجال تعانقوا حبا وسلاما واتحادا لتكوين نسيج وطني قوي. وصور قوة الاتحاد بين الأديان في مصر بصخرة من فولاذ تحطمت عليها آمال المجرمين المخربين في تفكيك لحمة الوطن والتفريق بين أبنائه، فقال في كلمته في افتتاح فعاليات الجولة الأولى من ملتقى شباب بورما - ميانمار عام ٢٠١٦م:[١]

" مصرُ البلدُ الطيّبُ الذي تعانقتْ فيه الأديانُ وانصَهرتْ تجلّيَاتُهَا في نسِيجٍ وطنِيّ واحدٍ شكَّلَ صخرةً من فولاذٍ، طالَما تحطمتْ عليهَا آمَالُ المُجرمين والمُخرّبين الذينَ يضْمِرون الشرَّ للنَاسِ ويُريدونَ بهِم الدمَارَ والخَرابَ ".

وهذه الصورة تبرز أهمية الاتحاد والوحدة الوطنية بين أبناء الشعب في مصر بمختلف دياناتهم ومذاهبهم في مواجهة أهداف الفئة الضالة من المخربين المجرمين الذين يحزنهم وحدة الشعب وتماسكه واجتماع كلمته في سبيل أمن الوطن وتحقيق آماله وطموحاته وتقدمه.

- ويصور فضيلته تلازم الرحمة والسلام وتعانقهما بالوجهين لعملة واحدة في تلازمهما، فيقول في كلمته التي ألقاها في طليعة كتاب قوافل السلام في يناير من عام ٢٠١٧م:[٢]

" والرَّحمةُ يلزَمُها السَّلامُ، بل هِيَ معَ السلامِ وجْهَانِ لعُملَةٍ واحدةٍ. "

وتوحي هذه الصورة بقوة التلازم بين هاتين الفضيلتين (الرحمة والسلام) وتآلفهما وتكاملهما كما يتلازم ويتكامل وجها العملة الواحدة، وفي تلازمهما هذا تتحقق أفضل النتائج للفرد والمجتمع. ومن هنا كان التعبير بلفظ (يلزمها) تعبيرا موفقا؛ لأنها تدل على أهمية السلام لتحقيق الفائدة

(١) كلمات الإمام في التسامح والسلام ص ٥٨
(٢) كلمات الإمام في التسامح والسلام ص ٦٣.

من وجود الرحمة والانتفاع بها.

- ومن الصور الفنية الرائعة القائمة على التشبيه في أسلوب الإمام الطيب ما جاء في كلمة فضيلته في طليعة كتاب قوافل السلام عام ٢٠١٧م؛ حيث يصور إحياء فقه السلام في دين الإسلام أصولا وتراثا بطوق النجاة الذي تنجو به الأمة الإسلامية - بل والعالم أجمع - من مصائب الإرهاب وكوارث التطرف المسلح، فيقول:[١]

" إنَّ مهمَةَ إحياءِ فقهِ السَّلامِ في دينِ الإسْلامِ أُصُولاً وتراثًا هُو أشبهُ بطوقِ النجاةِ الآنَ لإنقاذِ الأمةِ الإسلاميةِ، بل العالمِ أجمَع من مصَائبِ الإرهابِ وكوارثِ التطرفِ المسَلَّح ".

وتوحي هذه الصورة بضرورة العمل الجاد من جانب علماء الأمة الإسلامية على ترسيخ مفهوم السلام في نفوس أبناء المجتمع المسلم، بل وفي نفوس أبناء المجتمعات عامة وإقناعهم به، حتى ينجو المجتمع كله في كل مكان من مصائب الإرهاب وكوارث التطرف المسلح. والنص على أن إحياء فقه السلام مهم في دين الإسلام (أصولا وتراثا) يوحي بأهمية السلام - بصورته الصحيحة - في دين الإسلام، وبمدى حرص الإسلام على تحقيق السلام الصحيح العادل وبقائه بين أبناء المجتمعات البشرية بصفة عامة والمجتمعات الإسلامية خاصة.

- ويصور فضيلته الإرهاب وانتشاره في معظم دول العالم بالسرطان الذي يسري ويتمدد في جسم الإنسان شيئا فشيئا حتى يقضي عليه، فيقول في كلمته التي ألقاها في مؤتمر الأزهر لمواجهة التطرف والإرهاب (ديسمبر ٢٠١٤م):[٢]

" الإرهابُ ... هو آفةُ العصْرِ ووَباؤُهُ وسَرطانُهُ الممتدُّ شرقًا

(١) كلمات الإمام في التسامح والسلام ص ٦٤.

(٢) كلمت الإمام في التسامح والسلام ص ٧٠.

وغرباً ".

وهي صورة معبرة عن مدى خطورة الإرهاب وعظم شره، وأنه شبيه بالوباء في هذا العصر وسرطانه السريع الانتشار في جسم المجتمعات الإنسانية حتى القضاء عليها إذا لم نسرع في معالجته ونجد في العمل من أجل القضاء عليه. وفي تعدد المشبه به وتنويعه ما يوحي بشدة الخطر الناتج على وجود الإرهاب في المجتمعات الإنسانية، وهو ما يستدعي بالتالي الجد في العمل للقضاء عليه، وعدم التهاون في مواجهته.

- واستخدم فضيلته التشبيه في تصوير دور السلام في شريعة الإسلام حينما شبهه بحركة البندول ذهابا وإيابا، فيقول في كلمته عن رسائل السلام الأربع:[1]

> "يَمَثلُ السَّلامُ في شريعَةِ الإسْلامِ حركَةَ البندولِ ذهاباً وإياباً فِي كلِّ مرَّةٍ يتصِلُ فيها المُسلمُ بغيره، سَواءً بالمقابلَةِ أو المُواجَهَةِ، أو حتى على صَفَحَات المُراسَلاتِ والمُكاتباتِ".

وهي صورة توحي بأهمية السلام في الشريعة الإسلامية ودوره العظيم في استقرار المجتمعات والنهوض بها والرقي بشأنها وشيوع المودة والحب والتلاحم بين أبنائها.

- ويصور فضيلته الصلاة - كفريضة إسلامية - بأنها قاعدة الإسلام الصلبة التي تجسد السلام في أعماق المصلين وتذكرهم به، فيقول في كلمته في مؤتمر (الدعاء من أجل السلام) المنعقد في إيطاليا في شهر سبتمبر من عام ٢٠٠٦م:[2]

> " إنَّ الصَّلاةَ - بما فيها مِن تضَرُّعٍ إلى الله تعالى - قاعدةُ الإسْلامِ الصَّلبَةِ التي تجَسدُ السَّلامَ في أعْمَاقِ المُصَلين،

(١) كلمات الإمام في التسامح والسلام ص ١١٤.
(٢) كلمات الإمام في التسامح والسلام ص ١١٧.

وتذكرُهم به على مدارِ السَّاعةِ"

وهي صورة رائعة تعبر عن قيمة فريضة الصلاة في الإسلام وأهميتها في ترسيخ مبدأ السلام في نفوس المسلمين. وهي صورة مقتبسة من قول رسول الإسلام - صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ: " الصلاة عماد الدين ".

ووصف الصلاة بأنها القاعدة (الصلبة) للإسلام والتي تجسد السلام في أعماق المصلين يدل على القيمة العالية لفريضة الصلاة ومكانتها بين فرائض الإسلام، وهو ما يستو جب المحافظة عليها والقيام بها على وجهها الصحيح حتى يشعر المسلم بأثرها في نفسه.

- وفي صورة فنية أحرى يصور فضيلته الصلاة وتلازمها مع الإيمان، فيقول في كلمته السابقة في مؤتمر (الدعاء من أجل السلام) المنعقد في إيطاليا في سبتمبر من عام ٢٠٠٦م:[١]

" إنَّ الصَّلاةَ والإيمانَ كأنهُما وجْهانِ لعملةٍ واحدة ".

وهي صورة تشير إلى التلازم بين الصلاة والإيمان بالله؛ لأن الصلاة هي ركن الإسلام الأعظم، وهي أساس الدين، والمحافظة على إقامتها دليل على كمال الإيمان. فمن أقامها فقد أقام الدين، ومن تركها فقد هدم الدين، وهي صورة مقتبسة من قول الرسول - صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ -: " لا إيمان لمن لا صلاة له".[٢]

- وفي صورة أخرى صور فضيلته الصلاة بالمدرسة التي يتعلم فيها المسلم كيف يتخلص من الأدران والغرائز الوحشية التي تغذي نزعاته الشريرة، فيقول في كلمته أمام مؤتمر (الدعاء من أجل السلام) بإيطاليا:[٣]

"والصَّلاةُ في الإسْلامِ مدرسَةٌ يتَعلمُ فيها المُسلمُ كيف

(١) كلمات الإمام في التسامح والسلام ص ١١٧

(٢) أخرجه ابن نصر في تعظيم قدر الصلاة (٩٤٥) من حديث أبي الدرداء موقوفا بسند حسن.

(٣) كلمات الإمام في التسامح والسلام ص ١٢٠.

يتخلَّصُ من الغَرائزِ الوحْشيةِ التي تغذي نَزعاته الشريرةَ، كالعدوانِ والتقاتلِ ونفْيِ الآخر. وفي الوقتِ نفسِه يتدربُ على السَّلامِ النَّفسيِّ والسَّكينَةِ الداخليةِ، والارتِقاءِ الفِكري والوجدانِي ".

وفي هذه الصورة ما يوحي بأهمية الصلاة في الإسلام من ناحية، وتبرز الدور العظيم للصلاة في حياة المسلم وآخرته من ناحية أخرى. كما توحي بالدور الكبير للصلاة في الارتقاء بالمجتمعات وتخليصها من القلق والخوف والتشرذم؛ وذلك بالحفاظ على أدائها بخشوع وتدبر، فتنهى المقيمين لها عن العدوان والتقاتل ونفي الآخر، وتعزز في نفوسهم السلام النفسي والسكينة الداخلية والارتقاء الفكري والوجداني.

وبهذا يخلو المجتمع من الخوف والإرهاب ويسوده الأمن والإيمان. وقد جمعت هذه العبارة الفوائد الكثيرة والمهام العظيمة لفريضة الصلاة. ومن هنا تأتي أهميتها في دين الإسلام، حتى جعلها الرسول - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - عماد الدين.

- وصور فضيلته دولة إندونيسيا بعد أن مزجت - في سبيل تحقيق نهضتها - بين الإيمان والعلم والعمل، صورها بالنمر القوي رابط الجأش بين النمور الآسيوية، فقال في كلمته في أهل إندونيسيا عام ٢٠١٦م:[1]

" وقد مكن هذا الامتزاجُ بينَ الإيمَانِ والعلمِ والعملِ دولةَ إندونيسيا لأنْ تقفزَ إلى صَدارةِ الدولِ المُتقدَمةِ في المَنطقةِ، وتصْبحَ (نمِرًا) رابطَ البأسِ والجَأشِ بين النمُورِ الآسيَوية ".

وتدل هذه الصورة على مدى ما تتمتع به دولة إندونيسيا من قوة وتقدم بعد أن أخذت بخيار المزج بين الإيمان بالله والإسلام والاهتمام بالعلم والعمل، وأنها أصبحت في طليعة الدول المتقدمة في قارتها، وقادرة على الوقوف جنبا إلى جنب مع الدول الإسلامية الناهضة القوية.

(١) كلمات الإمام في التسامح والسلام ص ١٥٣.

كما تدل هذه الصورة على الأهمية العظيمة والدور الكبير الذي ينتج عن التمسك بالإسلام والالتزام بقوة الإيمان بالله مع الاهتمام بالعلم والعمل في تقدم الأمم والشعوب. وتوحي لفظة (الامتزاج) بوجوب الأخذ بالعلم والعمل بجانب الإيمان بالله ورسله، وعدم التفكير في الفصل بين هذه القيم الثلاث حتى تتحقق التنمية والتقدم للأمم والشعوب.

- وصور فضيلته انحراف الفئة الضالة عما تؤكده الأديان السماوية - ومنها الإسلام - من تكريم الإنسان، وتحريم سفك دماء الأبرياء أو العدوان عليهم - صور الانحراف عن ذلك بارتكاب الجرائم الكبرى والفساد في الأرض، وهو الأمر الذي تأمر الشريعة الإسلامية بالتصدي له حفاظا على المجتمع من آثاره المدمرة، فيقول في كلمته إلى الشباب:[1]

"إنَّ الأديَانَ السَّماويةَ وآخرُها الإسلامُ تؤكدُ تكريمَ الإنسَانِ واحترامَه، وتحرِّمُ سفكَ دمَاءَ الأبريَاءِ أو العُدوانَ عليهِمْ أو ترويعَهُم. وإنَّ انحرافاً عن ذلك هو في ميزانِ الإسْلام جريمة كبرَى وإفسَادٌ في الأرضِ، تأمرُ شريعةُ الإسلامِ بالتصَدِّي له، وحفظِ المجتمعِ من آثارِهِ المُدمرة ".

وهذه صورة توحي بعظم المصيبة التي يرتكبها هؤلاء الخارجون على ما تؤكده الأديان السماوية - وفي مقدمتها الإسلام - من تكريم الإنسان واحترام إنسانيته وعدم الاعتداء عليه فيحلون ستفك دماء الأبرياء والعدوان عليهم وترويعهم. والجمع بين الأديان السماوية كلها - وليس الإسلام وحده - في هذا النص يدل على حجم الجرم وعظم الإثم الذي يصدر ممن يعتدون على حرمة الإنسان وسفك دمائه، أو العدوان على الأبرياء وترويعهم.

- ويصور فضيلته الأديان السماوية ونصوصها المقدسة بالبيوت الآمنة التي يأوي إليها المؤمنون بهذه الأديان في أوقات الخطر، كما تأوي الطيور المذعورة إلى أعشاشها الآمنة الحصينة، فيقول في كلمته

(١) كلمات الإمام في التسامح والسلام ص ١٦٩.

التي ألقاها في افتتاح مؤتمر السلام العالمي المنعقد في إبريل من عام ٢٠١٧م:[١]

" الأديَانُ الإلهيَّةُ ونصُوصُها المقدسةُ التي نأوي إليْها الآنَ كما تأوي الطيُورُ المَذعورةُ إلى أعشاشِها الآمِنةِ الحَصِينةِ ".

وتدل هذه الصورة على القيمة الكبيرة للأديان الإلهية ونصوصها المقدسة وعظم فائدتها لمن يتمسك بها، وأنها تؤدي بمن يتبع نصوصها وتعاليمها إلى الإحساس بالأمن والأمان في الدنيا والفوز في الآخرة، وأنها الحصن الحصين للمتمسكين بها، يأوون إليها في الشدائد فتهدأ نفوسهم وتطمئن قلوبهم، كما تأوي الطيور المذعورة إلى أعشاشها الآمنة الحصينة فتأمن وتطمئن. وهو ما يوحي به وصف الطيور التي تأوي إلى أعشاشها بالطيور المذعورة.

- ويصور فضيلته حرية الاعتقاد مع الاختلاف في الدين في صورة وجهين لعملة واحدة؛ فهما متلازمان لا تفترق إحداهما عن الأخرى، فيقول في كلمته في افتتاح مؤتمر السلام العالمي المنعقد في إبريل من عام ٢٠١٧م:[٢]

" يترتبُ على حقيقةِ الاختلافِ في الدينِ منطقيّاً حقُّ حريةِ الاعتقادِ. لأنَّ حُريةَ الاعتقادِ معَ الاختلافِ في الدينِ يمَثِّل وجهيْنِ لعُملةٍ واحدة ".

وتوحي هذه الصورة بتلازم حرية الاعتقاد مع الاختلاف في الدين كتلازم وجهي العملة الواحدة، وعدم افتراقهما في أي زمان ومكان. وقد أكد القرآن الكريم على حرية الاعتقاد في أكثر من موضع؛ فقال -

(١) كلمات الإمام في التسامح والسلام ص ١٩٠
(٢) كلمات الإمام في التسامح والسلام ص ١٩١.

تعالى-: "لا إكراهَ فى الدينِ قد تبينَ الرشْدُ من الغيِّ "[١]. وقال -تعالى-: "فمَنْ شاءَ فليُؤمنْ ومَن شَاء فليكْفرْ"[٢] وهو ما يدل على سماحة الإسلام وإيمانه بحق الإنسان في حرية الاعتقاد، على أن يتحمل تبعات اختياره لدينه.

- ويصور فضيلته السلام الذي غاب عن الكثير من دول العالم في العصر الحديث بالفردوس المفقود، فيقول في كلمته في الترحيب بالبابا فرانسيس بابا الفاتيكان، المنعقد في إبريل من عام ٢٠١٧م:[٣]

" كيفَ أصْبحَ السَّلامُ العالمِيُّ الآنَ مع كلِّ هذه الإنجَازاتِ هو الفردوسُ المفقودُ ".

وتبرز هذه الصورة مدى الخسارة التي يتكبدها العالم بانعدام السلام بين الدول، وأن من يعش في سلام كأنه يعيش في جنة الفردوس لانعدام المشاكل والقلق والبعد عن المخاطر والحروب التي تهدم المجتمع وتذهب براحته ونهضته. وأن خسارة العالم للسلام كخسارة من خرج من جنة الفردوس التي هي أعلى درجات الجنان.

- ويصور فضيلته الدين الإسلامي مع الدين المسيحي بالشقيقين اللذين يقفان صفا واحدا ضد الوثنية، فيقول في كلمته أمام مؤتمر التسامح والتعايش السلمي بين أتباع الديانات المنعقد في برلين بألمانيا عام ٢٠١٧م:[٤]

" وما كانَ للنبيُّ (صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ) أن يأتمِنَ الحبشةَ المسيحيةَ على أتبَاعهِ .... لولا يقِينُه أنَّ الدِّينَيْنِ شقيقَانِ يتلاقيَانِ ويقفَانِ صفّاً واحدًا ضدَّ عدوٍ مشتركٍ هُو الوثنيَّةُ التي كانت تتعقَّبُ هذا الدينَ وتحاولُ القضاءَ عليه في مهده ".

(١) من الآية رقم ٢٥٦ من سورة البقرة.
(٢) من الآية رقم ٢٩ من سورة الكهف
(٣) كلمات الإمام في التسامح والسلام ص ١٩٧.
(٤) كلمات الإمام في التسامح والسلام ص ٢١٧

وهي صورة معبرة عن حكمة الرسول محمد - صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ - وعلمه بأن المسيحية هي أقرب الديانات إلى الإسلام حينما أشار على أصحابه في بداية الدعوة إلى الإسلام بالهجرة إلى الحبشة المسيحية.

ومن هنا صور الدينين الإسلامي والمسيحي بالأخوين الشقيقين اللذين يلتقيان ويقفان صفا واحدا ضد الوثنية التي صورها بالعدو المشترك لكل من المسيحية والإسلام. وتأكيد فضيلة الإمام على مسيحية الحبشة في قوله (الحبشة المسيحية) إشارة إلى قوة العلاقة بين الدينين المسيحي والإسلامي، وأن أتباع الدين المسيحي هم من احتضنوا الدين الإسلامي في مهده انطلاقا من الصلة الوطيدة بين الديانتين.

- ويصور فضيلته الأعمال الإرهابية بأنها عمل من أعمال الشيطان، فيقول في كلمته أمام مؤتمر التسامح والتعايش السلمي المنعقد في ألمانيا عام ٢٠١٧م:[1]

" إنَّ الإرهابَ عملٌ من أعْمالِ الشيْطانِ، وليسَ عملاً من أعمالِ المؤمنينَ باللهِ تعالى وعدلِهِ وحسابِهِ وعقابِهِ ".

وهي صورة تعبر عن مدى حقارة هذه الأعمال الإرهابية وخستها؛ فهي تنتسب إلى عمل الشيطان الذي لا يأمر إلا بالفحشاء والمنكر وتؤدي بمرتكبها إلى الخسران والضلال المبين، وهي بعيدة كل البعد عن أعمال المؤمنين المطيعين لله ورسوله.

إلى غير ذلك من الصور الفنية الكثيرة التي استعان فيها فضيلة الإمام الأكبر بالتشبيه لإبراز المعنى وتوضيحه، مما يصعب حصرها والإتيان عليها كلها في أسلوب فضيلته..

(١) كلمات الإمام في التسامح والسلام ص٢٢٠.

المبحث الثاني
التصوير الفني عن طريق الاستعارة

الاستعارة هي: "نقل العبارة عن موضع استعمالها في أصل اللغة إلى غيره لغرض. وذلك الغرض إما أن يكون شرح المعنى وفضل الإبانة عنه، أو تأكيده والمبالغة فيه، أو الإشارة إليه بالقليل من اللفظ، أو تحسين المعرض الذي يبرز فيه. وهذه الأوصاف موجودة في الاستعارة المصيبة. ولولا أن الاستعارة المصيبة تتضمن ما لا تتضمنه الحقيقة من زيادة فائدة لكانت الحقيقة أولى منها استعمالا ".[١]

وعرَّف عبد القاهر الجرجاني الاستعارة بأنها " أن تريد تشبيه الشيء بالشيء فتدع أن تفصح بالتشبيه وتظهره، وتجيء إلى اسم المشبه به فتعيره المشبه وتجريه عليه ".[٢]

والاستعارة أبلغ ألوان المجاز وأقواها في تصوير المعنى وتجسيمه. وفضل الاستعارة على الحقيقة أنها تفعل في نفس السامع مالا تفعل الحقيقة.[٣]

وقد استعان فضيلة الإمام الأكبر في العديد من عبارات كلماته بالاستعارة لإبراز المعنى وتصويره والإبانة عنه والمبالغة فيه وتأكيده.

- ومن ذلك ما جاء في حديثه عن الأزهر وبيان حرصه على التراث الإسلامي؛ حيث يصور فضيلته هذا التراث بالحياض المترعة بكل ما هو خير ومفيد، ويصور عظائم العقول في الشرق والغرب بالإبل التي تنهل من تلك الحياض من قديم الزمان حتى عهدنا هذا. يقول فضيلته في كلمته التي ألقاها بمناسبة الاحتفال بالمولد النبوي الشريف عام ٢٠١٦م موجها شكره لأمير الشعراء أحمد شوقي الذي أشاد

(١) كتاب الصناعتين - أبو هلال العسكري - تحقيق: علي محمد البجاوي، ومحمد أبو الفضل إبراهيم - المكتبة العصرية بصيدا وبيروت - ١٩٨٦م ص ٢٦٨.
(٢) دلائل الإعجاز - قراءة وتعليق: محمود شاكر - الهيئة العامة للكتاب - ٢٠٠٠م ص ٢٦٨
(٣) انظر كتاب الصناعتين ص ٢٦٩

في شعره بالتراث الإسلامي، ودعا إلى الاهتمام به، وعاب على من ينكرون قيمته وأهميته:[1]

" التراثُ الإسْلامِيُّ الذي هو تراثٌ إنسانِيٌّ لا تزالُ تنْهلُ من حياضِهِ عظائمُ العقولِ في الشرقِ والغربِ حتى يومَ الناسِ هذا. ثم يحذرنا مما يسميه (عصَابة مفتُونة) تتنكرُ لكلِّ ما هو قديمٌ، حتى كادوا ينْكرونَ آباءَهم وأجدادَهُم لأنهم قدماءُ ".[2]

فالاستعارة هنا أبانت عن المعنى وأبرزت هذا التراث في صورة معبرة عن قيمته وأهميته لأصحاب العقول النيرة في الشرق والغرب باعتباره منطلقا لبناء الحضارة الحديثة. واختيار فضيلته في التعبير عن المنكرين لقيمة التراث بإنكارهم للآباء والأجداد في قُوله: (حتى كادوا ينكرون آباءهم وأجدادهم لأنهم قدماء) في هذا الاختيار ما يدل على شدة كره هؤلاء للتراث وإنكارهم له، بل وإنكارهم لكل ما هو قديم حتى لو كان شيئا عزيزا عليهم. وفي العبارة ما فيها من السخرية والتوبيخ.

- ومن التصوير الفني القائم على الاستعارة في أسلوب الإمام الطيب ما جاء في كلمته التي ألقاها إلى الشباب في جامعة القاهرة في الأول

(١) أبيات شوقي في هذا المعنى هي:

لا تحذ حذو عصابة مفتونة ** يجدون كل قديمِ شيءٍ منكرا
ولو استطاعوا في المجامع أنكروا ** من مات من آبائهم أو عمرا
من كل ماض في القديم وهدمه ** وإذا تقدم للبناية قصرا
وأتى الحضارة بالصناعة رثة ** والعلم نزرا والبيان مثرثرا

من قصيدة (قم في فم الدنيا وحي الأزهرا) - الشوقيات - طبع: دار الكتاب العربي - بيروت - الطبعة الثانية عشرة - ١٩٩٢م - ١ / ١٥١.

(٢) كلمات الإمام في التسامح والسلام ص ٢٥.

من ديسمبر عام ٢٠١٥م؛ وذلك في قوله:[١]

"فأنتُم - شبابَ مصرَ - من بين سائرِ شبابِ العالَمِ تسنُدون ظهورَكم إلى حضاراتٍ أصيلةٍ تجري في دمائِكُمْ وعروقِكُمْ، وهي حضارةُ قدماءِ المصريين ".

فقد صور فضيلته الحضارة المصرية القديمة وفائدتها لشباب مصر في العصر الحديث بمن يسند ظهره على ركن مكين، وتراث أصيل. والغرض الذي ترمي إليه هذه الصورة هو أن شباب مصر لديهم من الإمكانات والفرص التي تساعدهم على الانطلاق والتفوق ما ليس لغيرهم من شباب دول العالم. ولذا فعليهم استغلال تراث هذه الحضارة ليبنوا عليها ويضيفوا إليها ما يؤدي إلى النهوض بمصر وشأنها وحضارتها. وتعبير فضيلته عن حب المصريين لحضارتهم القديمة بجريانها في دمائهم وعروقهم ما يدل على قوة امتزاج حب هذه الحضارة بنفوس المصريين وتجذرها في تكوينهم.

- ومن الصور الفنية الرائعة في أسلوب فضيلة الإمام تصويره مصر وموقف الحانقين عليها والخائنين لها بالرجل الذي يمد بكرمه وخيره رجالا يأخذون منه الخير بأيمانهم، ويطعنونه من الخلف بشمائلهم، فيقول محذرا أبناء مصر وشبابها من أن يكونوا من هؤلاء الخائنين الجاحدين، موجها كلمته إلى شباب جامعة القاهرة:[٢]

"ولا تكُونُوا من الذينَ يأخذونَ من مصرَ بأيمانهمْ ويطعنُونَها من الخَلْف - بشَمَائِلِهمْ، فما هكَذا الرجالُ، وما هكَذا أهلُ المُرُوْةِ والوفاءِ".

والتعبير باليمين والشمائل في هذه العبارة جاء مناسبا لعملية الأخذ والطعن؛ فاليد اليمنى تستعمل عادة في الخير والشيء المحبوب، وهو ما

(١) كلمات الإمام في التسامح والسلام ص ٣١.
(٢) كلمات الإمام في التسامح والسلام ص ٣٦

يتناسب هنا مع الأخذ، والشمال تستعمل عادة في الشيء المكروه وهو ما يتناسب هنا مع الطعن. وكان بإمكان فضيلته أن يقول: لا تكونوا من الذين يأخذون من مصر بيد ويطعنونها بالأخرى، ولكن التعبير باليمين والشمال أقوى وأحسن.

وتوحي جملة (فما هكذا الرجال) بأن هذا النوع من البشر الجاحدين المنكرين فضل بلادهم عليهم ليسوا من الرجال، وإن كانوا على صورة الرجال؛ لأن الرجل الحقيقي هو الذي يحمي بلاده، ويعمل بهمة في سبيل رقيها والنهوض بها، واحتلالها مكانة رفيعة بين الدول، ولا ينكر فضلها عليه.

- ويصور فضيلته الظلم الذي يقع على الدين الإسلامي من جانب هؤلاء الجاحدين الخارجين على المجتمع والدين، ويرتكبون أعمالا إرهابية باسم الدين بأنه بمثابة وضع هذا الدين في قفص الاتهام ظلما وزورا.

فيقول عن الدين الإسلامي في كلمته في نيجيريا:[1]

"بعدَ أنْ وضَعَتَه في أقفاصِ الاتهام ظُلماً وزورًا طائفةٌ من المُنتسِبين إليه. شوَّهُوا محيَاهُ الجَميل ولطخُوا صورتَه النقِيَّةَ الراقِيةَ بألوانِ الدماءِ وصورِ الأشْلاءِ".

فقد صور الدين الإسلامي بفعل هؤلاء الخارجين الفاسقين بالرجل الذي وقع عليه الظلم من أهله، واتهم ظلما وزورا بتهم أدت به إلى الزج في السجن، وتشويه صورته الجميلة النقية، ولطخوا وجهه البريء بالدماء وصور الأشلاء التي قاموا بتمزيقها باسم الدين وتحت لوائه وهو منهم براء فأساءوا إليه وهم يظنون أنهم يدافعون عنه وينصرونه.

- ويصور فضيلة الإمام الأكبر الإرهاب الذي ترتكبه طائفة من المتطرفين باسم الدين بالرجل الفاسق الفاجر الذي يتخفى تحت رداء

(١) كلمات الإمام في التسامح والسلام ص ٤١

طاهر نقي ويوظفه لإخفاء انحرافه وتطرفه. فيقول في كلمته في طليعة كتاب قوافل السلام:[١]

" ذلكَ الإرهابُ الذي يرْتدي - فِي كثيرٍ من الأحْيَانِ - رداء الأديانِ.... ".

وتدل هذه الصورة على أن هؤلاء المتطرفين قد اتخذوا من الأديان رداء يتخفون وراء جماله وصفائه ونقائه لتنفيذ مخططاتهم الإجرامية والدين منهم بريء. وفي التعبير باسم الإشارة للبعيد (ذلك) تحقير لشأن المشار إليه وتقليل من قيمته والسخرية ممن يرتكبه ويأتي به.

- ويصور فضيلته تبني الإرهاب لظاهرة (الإسلاموفوبيا) بالراعي لها وإرضاعها لبان الكراهية للإسلام والمسلمين، فيقول في كلمته خلال مؤتمر الحرية والمواطنة:[٢]

" ولسْنا الآنَ بصَدَدِ البحثِ في ظاهرةِ الإسْلامُوفُوبيَا، ولا في الإرهاب الذي يرعَى هذه الظاهرةَ ويرضِعُها كلَّ يومٍ لبَانَ الكراهيةِ للإسْلام والمُسلمين ".

فقد صور رعاية هؤلاء الإرهابيين لهذه الظاهرة بالراعي الذي يرعى حيوانات وحشية ويرضعها كل يوم لبنا هو عبارة عن لبن ينمي داخلها معنى الحقد والكراهية للإسلام والمسلمين مما يؤدي إلى زيادة وحشيتها وقوة خطرها.

- ويصور فضيلته المجتمع الشيوعي بالبيت الواهي الذي تهاوت أركانه فسقط قبل أن يكتمل بنيانه، فيقول في كلمته في مؤتمر الدوحة الخامس بدولة قطر لحوار الأديان في مايو من عام ٢٠٠٧م:[٣]

" إنَّ منطِقَ الأديانِ في علاقةِ أبناءِ الحَضاراتِ بعضِهِمْ

(١) كلمات الإمام في التسامح والسلام ص ٦٤
(٢) كلمات الإمام في التسامح والسلام ص ٨٤.
(٣) كلمات الإمام في التسامح والسلام ص ١٢٤.

ببعضٍ يتناقَضُ جذريًّا معَ منطِقِ صِراعِ الحضَاراتِ ومنطِقِ نهايةِ التاريخ، ومن قبلِهِما منطِقِ المجتمعِ الشيُوعِيِّ ذي الطبقَةِ الواحدةِ الذي تداعتْ أركانُه قبلَ أن يكتمِلَ بنيانُه ".

وهي صورة معبرة عن مدى فساد النظام الشيوعي الذي يؤدي إلى تهاوي المجتمع وتداعي أركانه قبل اكتمال أسسه ومقوماته. فيكون كالبيت الذي يقام على قواعد خاوية فيكون معرضا للانهدام والسقوط حتى قبل أن يكتمل بنيانه.

- ويصور فضيلته الأزهر الشريف في حرصه على وحدة المسلمين بالرجل العظيم الذي يهتم بتحقيق وحدة المسلمين والحفاظ عليها، فيقول في كلمته التي ألقاها في اجتماع هيئة كبار العلماء بالسعودية في إبريل من عام ٢٠١٣م:[١]

" والأزهرُ - أيُّها الإخوةُ - يضعُ همَّ وحدةِ المسلِمينَ نصْبَ عينيهِ... "

وهي صورة تبرز حرص الأزهر ورجاله على وحدة المسلمين ووقوفهم صفا واحدا على أساس من الدين الإسلامي وتعاليمه القويمة. وفي ندائه لمستمعيه بـ (أيها الإخوة) ما يوحي بإخلاصه فيما يتلوه على مسامعهم، وصدقه فيما يقوله لهم؛ فقد جعلهم إخوة له، والأخ عادة يصدق أخاه ولا يخذله ولا يكذبه.

- وصور فضيلته هؤلاء الفاسقين الإرهابيين بالنبتة السوء الفاسدة الضارة، فقال في كلمته أمام أبناء دولة إندونيسيا:[٢]

"وإنّي لأتَسَاءَلُ: كيفَ صُوِّرَ هذا الدينُ الذي يدورُ على مفهُومِ الرحمةِ ومعنَاها.... في صُورةِ العُنفِ والقتلِ

(١) كلمات الإمام في التسامح والسلام ص ١٣٨.
(٢) كلمات الإمام في التسامح والسلام ص ١٦١.

وإرهـابِ الآمنين ؟ إنَّ هذا الدينَ الحنيفَ ما كانَ لَيُوصَمُ بهذا الإفكِ المُفترَى لولا ما ابتلِيتْ به هذه الأمة في الآونَةِ الأخيرةِ بنابتةِ سُوءٍ من أبنـائِها وشبابِها ".

وتوحي هـذه الصـورة بالصورة القـبيحة التي يتشكل عـليها هـؤلاء الإرهـابيـون، وأنهـم في فـسادهم وإفـسادهـم في الأرض وسعـيهـم في القـضـاء عـلى أمنها كالنبتة الشـيطانية السـوداء السـيئة التي تـضـر مـن يأكـل مـنـها.

ولذلك يلـقـي بها الزارعـون في الـنـار إذا نبـتت بأرضهـم حتى لا ينتشر ضـررها. والتعـبـير بمفهـوم الرحـمـة ووصـف الدين الإسـلامي بها يتـناسب تمـامـا مع الـدعـوة إلى نبـذ العـنـف والإرهـاب الذي يتنـافى مـع الرحـمة بالإنسان وأمانه والبعـد عـن ترويعـه، وهـو ما يدعـو إليه الدين الإسلامي الحـنـيـف.

- وفي كلمـته فـي مـؤتمـر الإرهـاب المنعـقـد في مـصـر في إبريـل مـن عـام ٢٠١٧م يصـور فـضيلـته الأديـان الـتـي نشـأت عـلـى أرض مـصـر - ومـنـها الإسـلام - بالشجـرة الطـيـبـة التـي غـرسـت فـي أرض هـذا الشـرق وترعـرعـت عـلى ترابه، وتربت عـلى ثمـاره وخـيراته، فـيـقـول:[1]

"إنَّ هذا المُؤتمرَ الجـامعَ لشخصِيـَّاتٍ بارزةٍ من الشرقِ العربِيّ والإسْلامِيّ، ومن العـَالَم الواسع الفسِيح من مسلِمين: سُنة وشيعة، ومسيحيينَ على اختِلافِ طوائِفِهِمْ، ومن عقـائدَ أخرَى نشَأت على أرضِ هذا الشرقِ وترعْرعتْ على تُرابه وتربتْ على ثمـاره وخيرَاته، يأتِي في وقتٍ بالغ الدقةِ والتعقيدِ والخطرِ المطبقِ على بلادنا وشعُوبنـا".

وتوحي هـذه الصـورة بكـمال الأديان السـماوية وطـيب أثرهـا فـيمن اتبـعـها وسـار عـلى هـديهـا، تمـامـا كطـيب ثمـار هـذه الشجـرة التي غـرست ونـمـت وترعـرعـت وأثمـرت أطـيب الثمـار عـلـى أرض الشـرق.

(١) كلمات الإمام في التسامح والسلام ص ١٨٠

- وفي كلمته في مؤتمر الأزهر لمواجهة الإرهاب المنعقد في إبريل من عام ٢٠١٧م، يصور فضيلته تمسح هؤلاء الإرهابيين بالدين الإسلامي، وصبغ أعمالهم الإجرامية بصبغة دينية بالرجل الفاسق الذي يتظاهر بمظهر رجل الدين، فيقول:[١]

" وثالثةُ الأثَافي: أنَّ هذه الجرائِمُ البربريَّةُ النكرَاءُ ما لبثَتْ أنْ تدثَّرتْ بدثَارِ هذا الدينِ الحنيفِ ".

وتوحي هذه الصورة بمدى الخداع والزيف الذي ينبع من قِبل هؤلاء المجرمين الخارجين على المجتمع والدين؛ فهم يرتدون ثياب المتدينين الصالحين ليخفوا سوء أعمالهم وراء ستار الدين، والدين منهم ومن أمثالهم براء. وفي وصف الجرائم التي يرتكبها هؤلاء الإرهابيون بالبربرية النكراء ما يوحي بشناعتها وشدة تناقضها مع طبيعة النفوس السوية.

- واستخدم فضيلته الاستعارة لتصوير مصانع السلاح التي تمد الإرهابيين بالسلاح في صورة مصانع الموت، فيقول في كلمته في الترحيب بالبابا فرانسيس بابا الفاتيكان في مؤتمر السلام:[٢]

" ولا يزالُ العُقلاءُ... يبحثُونَ عن سببٍ مقنعٍ وراءَ هذه المآسِي... فلا يظفَرونَ بسَببٍ واحدٍ منْطقِيٍّ يبرزُ هذه الكَوارثَ... اللهمَّ إلا سبباً واحِدًا يبْدو معقُولاً ... ألاَ وهو تجَارةُ السلاح وتسْويقُهُ، وضمانُ تشغيلِ مصانعِ المَوتِ ".

وهي صورة تعبر عن السبب الرئيسي وراء تشجيع بعض الدول والمنظمات لهؤلاء المجرمين المخربين، ودفعهم لتكرار عملياتهم الإرهابية، وهو تشغيل مصانع إنتاج السلاح في بلادهم التي لا هدف من ورائها سوى حصد أرواح الأبرياء في الدول الفقيرة من ناحية، وتحقيق الثراء الفاحش لأصحاب هذه المصانع من ناحية أخرى.

(١) كلمات الإمام في التسامح والسلام ص ١٨١.
(٢) كلمات الإمام في التسامح والسلام ص ١٩٦.

وهكذا استعان الإمام الأكبر شيخ الأزهر بالاستعارة لتصوير المعاني التي أراد إبرازها للمتلقي في هذه الصور وفي كثير غيرها مما جاء في كلماته. وقد اقتصرت على ما ذكرته منها تجنبا للإطالة، ولما في ذكر البعض ما يغني عن الكل.

المبحث الثالث

التصوير الفني عن طريق الكناية

الكناية هي " أن يريد المتكلم إثبات معنى من المعاني فلا يذكره باللفظ الموضوع له في اللغة، ولكن يجيء إلى معنى هو تاليه وردفه فيومئ به إليه ويجعله دليلا عليه ".[١]

و " قد أجمع الجميع على أن الكناية أبلغ من الإفصاح، والتعريض أوقع من التصريح ".[٢] ولذلك كثيرا ما يلجأ إليها البليغ لإبراز المعنى وتوكيده في ذهن المتلقي.

- ومن الصور الفنية التي استعان فيها الإمام الأكبر بالكناية لتصوير المعنى المراد وتوكيده في ذهن المتلقي ما جاء في قوله عمن يتصدون للفتوى بغير علم، في كلمته في مؤتمر دار الإفتاء المصرية عام ٢٠١٦م:[٣]

"وقد وجَدَ هذا الفقهُ العبثِيُّ كتائبَ موازيةً من المفتين".

فقد صور كثرة عدد من يتصدون للفتاوى الدينية دون أن يكونوا مؤهلين للفتوى بكتائب الجيش. وكأنهم كونوا من أنفسهم جيشا متعدد الكتائب لمواجهة علماء الشريعة في دور الإفتاء والتغلب عليهم لتضليل العباد. وذلك لأن لفظة (كتائب) تستعمل في أغلب الأحيان في التعبير عن الفرقة الكثيرة العدد في الجيش العسكري. وفي وصف فقه هؤلاء المفتين بغير علم بـ (العبثي) ما يدل على فساد عقولهم؛ لأن العبث لا يصدر من صحيح العقل.

- ومن الصور الفنية عن طريق الكناية في أسلوب الإمام الأكبر ما جاء في قوله عن الفتاوى الباطلة التي تصدر عن غير المؤهلين للفتوى

(١) دلائل الإعجاز - عبد القاهر الجرجاني ص ٦٦.
(٢) المرجع السابق ص ٧٠.
(٣) كلمات الإمام في التسامح والسلام ص ٥

في كلمته في مؤتمر دار الإفتاء المصرية عام ٢٠١٦م:[١]

"... وأيضاً نتيجةَ الفتاوَى المُعلَّبةِ والمُستوردةِ العابرةِ للدولِ والأقطارِ".

فقد صور تلك الفتاوى التي يعدها قائلوها دون مراعاة لظروف السائلين، ودون مراعاة أحوال المجتمعات التي يعيش فيها السائل طالب الفتوى، ويخاطبون بها طالبي الفتوى في جميع الأقطار الإسلامية على حد سواء بالأطعمة المعلبة يقوم المعدون لها بتصديرها إلى الدول والأقطار التي هي في حاجة إليها دون مراعاة لاختلاف أذواق أهلها وعاداتهم واختلاف مشاربهم.

- ويصور فضيلته ما عاناه الأنبياء والمرسلون في سبيل تبليغ دعوتهم من آلام ومشاق ومتاعب، فقال في كلمته في افتتاح الجولة الرابعة من الحوار بين حكماء الشرق والغرب في (أبو ظبي)، في ديسمبر من عام ٢٠١٧م:[٢]

" ونتأسَّى بالأنبياءِ والمرسَلينَ في اعتمادهِمْ على الله وتحمُّلِهِمْ ما لا تحْتمِلهُ الجبالُ الراسِياتُ من أجلِ إنقاذِ المجتمعِ الإنسانِيِّ من الضَّلالِ، ووضْعِهِ على طريقِ السَّعادةِ في الدنيا والآخرةِ".

وهي صورة تبرز مدى ما تحمله الأنبياء والمرسلون في سبيل نشر الدعوة إلى الإيمان بالله؛ فقد تحملوا في سبيل ذلك ما لا تحتمله الجبال الراسيات، حتى آمن بهم من آمن وكفر من كفر. ولكنهم تحملوا ذلك كله من أجل إنقاذ المجتمع الإنساني من الضلال، ووضع أفراده على طريق السعادة في الدنيا والآخرة.

- ويصور فضيلته ضعف الأمة الإسلامية وهوانها وتأخرها في العصر

(١) كلمات الإمام في التسامح والسلام ص ١٠.
(٢) كلمات الإمام في التسامح والسلام ص ٢٠.

الحديث نتيجة بعدها عن هدي النبي محمد (صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ)، فيقول في كلمته في الاحتفال بمولد النبي (صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ) في عام ٢٠١٦م:[١]

" وقد جنتْ هذهِ الأمةُ من التنكبِ لهدي نبيِّها - صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ - ثمَراتٍ مُرَّةً وهواناً يصعبُ احتمالُه والصَّبرُ عليه ".

فالثمرات المرة والهوان الصعب كناية عن الضعف والتخلف والهوان الذي تعيشه الأمة الإسلامية بعد أن ابتعدت عن هدي النبي محمد - صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ - وتخلت عن التمسك بتعاليم وهدي الدين الإسلامي الحنيف. والتعبير بالفعل (جنت) يعبر عما أصاب الأمة الإسلامية من مرارة وهوان بسبب انصرافها عن هدي النبي - صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ -.

- ويصور فضيلته في كلمته بمناسبة الاحتفال بالمولد النبوي الشريف عام ٢٠١٦م كثرة ما كتبه المؤرخون عن سيرة الحبيب المصطفى - صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ - بمن بذل جهدًا مضنيا في الكتابة عن أشياء كثيرة حتى كلت أبصارهم ونفد ماء عيونهم، فقال:[٢]

" على أنَّ ما كَتَبهُ المُؤرخونَ واستنفَدوا فيه ماءَ عُيُونِهِمْ هو أقلُّ قليلٍ تقدمُهُ البشريةُ من إجلالٍ واعترافٍ بالعظمةِ والعظماء ".

فقد صور - عن طريق الكناية - الجهود المضنية التي بذلها المؤرخون في كتاباتهم عن الرسول - صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ - وسيرته المباركة بمن استنفد ماء عينه في تحقيق أمر مضن، ومع ذلك فما بذلوه في هذا الميدان هو أقل القليل مما يجب أن تقدمه البشرية للوفاء بحق الرسول - صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ - وعظمة مكانته. والتعبير بـ (ماء العيون) يصور مدى الجهد الذي بذله المؤرخون في كتاباتهم عن رسول الله - صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ - حتى

(١) كلمات الإمام في التسامح والسلام ص ٢٦
(٢) كلمات الإمام في التسامح والسلام ٢٤.

استنفدوا أغلى ما يملكون.

- وبصور فضيلته ما يقوم به الإرهابيون والخارجون على المجتمع من عمليات إرهابية ضد الأبرياء من الناس بالظلمات التي رانت على فقه السلام الذي يقره الدين الإسلامي ويدعو إليه. يقول في كلمته أمام طليعة كتاب قوافل السلام في يناير من عام ٢٠١٧م:[١]

" إنَّ إعادةَ الكشفِ عن ثقافةِ السِّلمِ... لا شك من أنبَلِ الغاياتِ التي يجبُ أنْ تتوفرَ عليْها أقلامُ أهلِ الاختصاصِ، لإزالةِ ما رانَ على فقهِ السلامِ من ظلماتٍ بعضُها فوقَ بعضٍ "

فالظلمات المتراكمة على فقه السلام في الإسلام كناية عن الأعمال الخسيسة التي تتعارض مع ثقافة الإسلام ودعوته إلى السلام والحب والإخاء بين أبناء المجتمع بطوائفه المتعددة ودياناته المختلفة. وقد أفادت هذه الصورة تجسيم ما يقوم به هؤلاء الخارجون في هيئة ظلمات يتخبطون فيها ويسيرون في طرقها بلا هداية ولا نور، وهو ما يؤدي بهم إلى الوقوع في المخاطر والخسران في الدنيا والآخرة. وزاد هذه الصورة قوة وإشراقا تأثر التعبير فيها بالقرآن الكريم في قوله تعالى: " أو كَظُلُمَاتٍ فى بحرٍ لُجيّ يغْشاهُ موجُ مِن فَوقِهِ موجٌ مِن فوقِهِ سَحَابٌ ظُلُمَاتٌ بعضُها فَوقَ بعضٍ إذا أخْرجَ يدهُ لَم يكدْ يَراهَا... "[٢]

- ويصور الإمام الأكبر سماسرة الحروب وتجار الأسلحة الذين يمدون الإرهابيين بالسلاح بالنافخين في النار ليزيدوها اشتعالا، فيقول في كلمته التي ألقاها في مؤتمر الأزهر لمواجهة التطرف والإرهاب في ديسمبر من عام ٢٠١٤م:[٣]

" وقد وجدَ النافِخُونَ على النَّارِ من سَماسِرةِ الحُرُوبِ وتجارِ

(١) كلمات الإمام في التسامح والسلام ص ٦٢.
(٢) من الآية رقم ٤٠ من سورة النور.
(٣) كلمات الإمام في التسامح والسلام ص ٦٨.

الأسلحَةِ ... مسْرحًا جاهزًا لإطلاقِ الطائراتِ والصَّواريخ ...".

وتوحي هذه الصورة بمدى حرص الدول المصدرة للسلاح والممولة لهؤلاء المفسدين الإرهابيين على إشعال الفتن واختلال الموازين والقضاء على الهدوء والاستقرار في المجتمعات المستقرة الآمنة والاعتداء على نهضتها وتقدمها. وهم بهذا يعدون شركاء حقيقيين للمخربين والمتطرفين فيما يقومون به من أعمال تخريبية. وفي التعبير عن تجار الأسلحة بسماسرة الحروب ما يوحي بخبث هؤلاء المفسدين، وكرههم لاستقرار الدول وأمن الشعوب، وبعملهم الدائب على إشعال الفتن وترويج إثارة النفوس حتى يحظوا بأكبر قدر من الأموال من وراء مبيعات الأسلحة والعتاد الحربي التي لا تجني المجتمعات من ورائها غير الخراب والدمار.

- ومن التصوير الفني القائم على الكناية في أسلوب الإمام الأكبر تصويره ما يقوم به أعداء الإسلام والمسلمين من العمل الدائم لكل ما من شأنه تمزيق وحدة المسلمين وتبديد ثرواتهم وهدم تقدمهم، فيقول في كلمته في إحدى الاحتفالات بليلة القدر:[1]

"ولَنَا أعداءٌ لا يغمُضُ لهم جفنٌ إلا بتمزيقِ وحدتنَا وتبديدِ ثروتِنا، وإعَادتنَا إلى ما قبلِ قرنيْن من الزمانِ".

ففي العبارة كناية عن العمل الدائب والمستمر من جانب أعداء الإسلام بهدف القضاء على وحدة المسلمين وتبديد ثرواتهم. ولذا فمن الواجب على كل مسلم أن يتنبه إلى ما يضمره أعداء الإسلام من شرور، وأن يعمل المسلمون جاهدين على ما يؤدي إلى النهضة ببلادهم، وما يزيد من اتحادهم وتلاحمهم. "ويقيني أن ترتيب البيت الإسلامي من داخله، وبسواعد أبنائه، وعلاج ما فيه من خلل وأمراض، هو تحدي اللحظة الراهنة بكل ما يضطرب فيها من مخاطر وآلام، ومن آمال وأشواق، إلى نهضة يقظة تعيد إلينا ما

(١) كلمات الإمام في التسامح والسلام ص ١٣٥.

نستحق من مجد وعز وقيادة وريادة "[١]

والاستعارة في جملة (تمزيق وحدتنا) ساعدت على تجسيد وحدة المسلمين التي يحاول أعداء الإسلام القضاء عليها، وبث الفرقة والاختلاف بين الشعوب الإسلامية لإحلال التشرذم والشقاق محل الاتحاد والوئام بين أبنائها.

- وفي كلمته في مؤتمر الأزهر لمواجهة الإرهاب والتطرف المنعقد في إبريل من عام ٢٠١٧م يصور فضيلته أزمة العراق وسوريا واليمن وليبيا، وما يعيشه مواطنوها من حروب مدمرة بالشخص الذي يسبح في بحور واسعة من دماء لا ترى العين شطآنها، فيقول:[٢].

> "لقد دخل العراقُ في دوَّامةِ الاقتتالِ، وظلَّ يسبَحُ في بحورٍ من دماءٍ لا تُبصِرُ شطآنَها ... والشيءُ نفسُه يقالُ على سُوريا، وعلى اليمنِ، وعلى ليبيا".

وهي صورة معبرة عن غزارة الدماء التي تسيل من كثرة القتلى نتيجة شدة الحروب وفظاعة الأحداث الدائرة بين طوائف شعوب هذه الدول بعد دوامة الاقتتال التي أوقعها فيها الاستعمار الأمريكي المجرم.

والتعبير عن مواصلة الاقتتال بين أبناء العراق أثناء فترة الفتنة بالدوامة يوحي بشدة الاقتتال واستمراره بين الطوائف المتناحرة، والتي كلما خرجت من فتنة دخلت في أخرى حتى أضحت الدماء بحرا يسبح فيه المتناحرون.

تلكم بعض العبارات التي اتخذ فيها فضيلة الإمام الأكبر من الكناية طريقا إلى تصوير المعنى المراد، فأسهمت في توضيح المعنى وتقويته وتوكيده، وأضفت على الأسلوب رونقا وبهاء.

(١) كلمات الإمام في التسامح والسلام ص ١٣٦.
(٢) كلمات الإمام في التسامح والسلام ص ١٨١.

المبحث الرابع
التصوير الفني عن طريق بعض ألوان البديع

استخدم الإمام الأكبر الأستاذ الدكتور / أحمد الطيب بعض ألوان علم البديع كوسيلة من وسائل التصوير الفني للمعنى الذي يتحدث عنه. وجاء استخدامه لهذه الألوان طبيعيا بعيدا عن التكلف؛ مما أسهم في إيضاح المعنى وجمال العبارة.

والملاحظ أنه لم يكثر من استعانته بألوان البديع في صوره الفنية؛ لأنها تحتاج - في كثير من الأحيان - إلى نوع من التحايل أو التكلف وهو ممن يميلون إلى السلاسة في الأسلوب والمباشرة فيه، حتى يصل المعنى الذي يتحدث فيه إلى المتلقي واضحا مباشرا دون مواربة أو غموض.

- ومن تصويره الفني الذي استعان فيه بأحد ألوان البديع استخدامه الطباق في كلامه عن النظريات العلمية الحديثة البعيدة عن فلسفة الدين في كلمته التي ألقاها في افتتاح الجولة الرابعة من الحوار بين حكماء الشرق والغرب المنعقد في (أبو ظبي) في ديسمبر من عام ٢٠١٦م:[(١)]

" فجَاءتْ هذهِ النظرياتُ الحديثةُ وإثمُها أكبرُ من نفعِها "

وقد أسهم الطباق هنا في توضيح مكانة هذه النظريات التي تجاهلت الدين وأثره في حياة الناس، فأبان أن آثام ومضار هذه النظريات أكبر من نفعها. وزاد هذا التصوير إشراقا ووضوحا تأثر الأسلوب فيه بالقرآن الكريم؛ فقد تأثر فيه بقوله - تعالى - عن الخمر والميسر: " يسْألونكَ عن الخمرِ والمَيسرِ قل فيهما إثمٌ كبيرٌ ومنَافعُ للنَّاسِ، وإثمُهما أكبرُ من نفعِهما "[(٢)]

- وعن طريق الطباق المتعدد يوضح فضيلة الإمام مفهوم فقه

(١) كلمات الإمام في التسامح والسلام ص ١٧.
(٢) من الآية رقم ٢١٩ من سورة البقرة.

الاختلاف الصحيح الذي كان من أقوى عوامل نهضة الأمة الإسلامية في الماضي، فيقول في كلمته التي ألقاها في نيجيريا مبينا فيها عدالة الإسلام، وعدم معاداته للأديان الأخرى:[١]

"ولا مفرَّ لنا ... من أن نَسْتعيدَ فقهَ الاختلافِ الصَّحيحِ.... الذي كان من أقوَى عواملِ نهضَةِ الأمةِ الإسْلاميَّةِ لنفرِّقَ بيْن الاختلافِ المحمودِ والاختلافِ المذمومِ الذي أصابَ فقهَ الأمةِ في مقتلٍ، وانقلبَ معَه الظنُّي إلى قطعيٍّ، والمُتشابهُ إلى محكَمٍ، وخفيُّ الدلالةِ إلى واضحِ الدلالةِ، والعامُّ إلى خاص ".

فقد استعان فضيلته بالطباق هنا لبيان آفات الاختلاف المذموم بين أتباع الديانات المختلفة، والذي أصاب فقه الأمة في مقتل وانقلب معه الشيء الظني إلى شيء قطعي، والمتشابه إلى محكم، وخفي الدلالة إلى واضح الدلالة، والعام إلى خاص. والعبارة تبين مدى ما أصاب الأمة الإسلامية من ضعف وهوان بعد أن انقلب فقه الاختلاف من كونه عاملا من عوامل نهضة هذه الأمة في الماضي إلى عامل من عوامل الهدم حينما ابتعد عن مساره الصحيح؛ ولذلك نادى فضيلة الإمام بضرورة استعادة الأمة فقه الاختلاف إلى ما كان عليه من وصفه بالاختلاف المحمود.

- ومن التصوير الفني القائم على أحد ألوان البديع في أسلوب الإمام الطيب تلك الصورة التي ترسخ أهمية السلام ودوره في شريعة الإسلام واستعان فيها بالجناس بين (السلام والإسلام)، فيقول في كلمته عن رسائل الإسلام الأربع:[٢]

"من هنا جاءتْ حضارةُ الإسلامِ حضارةَ سلامٍ، كما جاءَ

(١) كلمات الإمام في التسامح والسلام ص ٤٧.
(٢) كلمات الإمام في التسامح والسلام ص ١١٥.

الإسلامُ دينَ سلامٍ ورحمةٍ ومودةٍ ".

فقد صورت هذه العبارة دور وأهمية السلام البالغة في شريعة الإسلام حتى إنه يمكن تلخيص رسالة الإسلام في كونها رسالة سلام إلى العالم أجمع لنشر روح المودة والرحمة بين البشر.

- ومن الصور الفنية التي استعان فيها فضيلة الإمام الأكبر بأحد ألوان البديع تلك الصورة التي يحذر فيها من خيانة أحد من أبناء مصر لبلده مستخدما فن المقابلة، فيقول في كلمته التي ألقاها إلى شباب جامعة القاهرة:[1]

" ولا تكونوا من الذينَ يأخذونَ من مصرَ بأيْمانِهِم ويطعنُونَها من الخلفِ بشَمائِلِهم ".

وقد صورت المقابلة في هذه العبارة هؤلاء الخائنين الجاحدين فضل بلادهم عليهم بمن يأخذ ممن يحسنون إليه بيمينه، في الوقت الذي ينكر فضله عليه ويطعنه من الخلف بشماله. ولذا نفى فضيلة الإمام عن أصحاب هذه الصفة سمة الرجولة، كما نفى عنهم صفتي المروءة والوفاء، فقال:

" فما هكذا الرجالُ، وما هكذا أهلُ المَّروءةِ والوفاء ".

- ومن الصور الفنية في أسلوب الإمام التي استعان فيها بالمقابلة المعنوية لتصوير الفرق بين الأخلاق الإنسانية في الإسلام في حروبه وبين همجية الحروب الحديثة ما جاء في كلمته فضيلته بإندونيسيا في عام ٢٠١٦م:[2]

" ولكُم أيُّها السَّادةُ بل للعَالَمُ كلُّه أن يقارنَ ويتأملَ الفرقَ بينَ هذه الأخلاقِ الإنسانيَّةِ العُليا التي حكَّمتْ سيوفَ المسلمينَ في حُروبِهِمْ وألجمتَها عن تجاوزِ العدلِ حتى في

(١) كلمات الإمام في التسامح والسلام ص ٣٦.
(٢) كلمات الإمام في التسامح والسلام ص ١٦١

مواجَهةِ العدوِّ، وبينَ همجيَّةِ الحروبِ الحديثةِ التي تُبيدُ النساءَ والرجـالَ والأطفالَ إبادةً جماعيَّةً، وتهدمُ البيوتَ على رؤوسِ أصحـابِها، وتزيلُ قرًى كاملةً من الوجودِ ".

ففي هذه العبارة مقابلة في المعنى حققتها المقارنة بين الأخلاق الإنسانية العليا التي حكمت سيوف المسلمين في حروبهم ضد أعدائهم، ومنعتهم من تجاوز حدود العدل في مواجهة الأعداء، حيث نهى رسول الإسلام - صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ - جيوش المسلمين - واستن به خلفاؤه الراشدون وقادة جيوش المسلمين - عن قتل الأطفال أو الشيخ الكبير أو المرأة أو الأجير أو الرهبان في أديرتهم. كما نهاهم عن قطع شجرة أو ذبح حيوان إلا لضرورة الأكل عند الحاجة، أو التمثيل بجثث القتلى، أو هدم البيوت - وبين همجية الحروب الحديثة التي تصدر من جيوش أعداء الإسلام والتي تبيح إبادة النساء والرجال والأطفال إبادة جماعية، وتهدم البيوت على رؤوس أصحابها وتزيل قرى كاملة من الوجود.

ومن خلال هذه المقابلة يتبين للجميع مدى سماحة الإسلام واعتداله ورحمته حتى في مواجهاته ضد أعدائه في ميادين القتال. وفي التعبير عن منع المحاربين المسلمين عن تجاوز العدل في حروبهم ضد أعدائهم بلفظة (ألجمتها) ما يوحي بشدة النهي عن تجاوز حدود العدل وتوكيد الالتزام بهذا الخلق في حروب المسلمين مع عدوهم.

- ومن المقابلة في أسلوب الإمام الطيب تلك المقابلة التي جاءت في صورة حكمة مشهورة، والتي ورد ذكرها في كلمة فضيلته في إندونيسيا عام ٢٠١٦م في قوله:[(١)]

" نذكِّرُ هؤلاءِ الذينَ بغوْا علينا وأساؤُوا إلى ديننا وأمتنا وتاريخِنا أنَّ الرجوعَ إلى الحَقِّ خيرٌ من التَمَادي في البَاطل ".

(١) كلمات الإمام في التسامح والسلام ص ١١٥.

فالمقابلة في هذه العبارة صورت فضيلة اعتراف الإنسان بخطئه ووقوعه في الباطل، وأن من الخير له حينئذ أن يعود إلى الحق ويتمسك به بدلا من التمادي في الباطل. وأنه لمن الخير والصواب لهؤلاء الذين خرجوا على المجتمع وصدرت عنهم أعمال باطلة ضد أبنائه أن يرعووا ويكفوا عن أعمالهم التخريبية، ويعودوا إلى صوابهم ورشدهم حتى لا يسيؤا إلى ديننا وأمتنا وتاريخنا.

وبعد: فهذا قليل من كثير من روائع التصوير الفني الذي امتلأ به أسلوب الإمام الأكبر الأستاذ الدكتور أحمد الطيب، وقد اقتصرت منه على قدر ما يحتمله البحث. وإن كان استقصاء هذه الصور الفنية في أسلوب الإمام يحتاج إلى أضعاف حجم ما جاء في هذا البحث. ولكني رأيت في هذا القدر ما يكفي للدلالة على بلاغة هذا الرجل وحسن بيانه ونصاعة أسلوبه.

وإني لأرجو أن أكون قد وفقت في توصيل هذا المعنى إلى القارئ الكريم، وأن يكون القارئ قد وافقني الرأي في أن هذا الرجل بأسلوبه هذا وببلاغته وبحسن تصويره للمعنى حقيق بأن يكون هو الشخصية المعبرة عن واجهة الإسلام وصورته المشرقة.

أهـم المراجـع

- الـقـرآن الكـريـم.
- بغـية الإيضاح لتلخـيص المفـتاح - عـبد المـتعال الصعـيـدي - طبع ونشر كلية الآداب ومطـبعـتها بالجـماميز - الطبعة الخامسة - بدون تأريخ
- دلائل الإعـجـاز - عـبـد القاهـر الجـرجـاني - قـراءة وتعـليق: محمود محمد شاكر - مكتبة الأسرة - ٢٠٠٠م.
- الشوقـيـات - أحمـد شوقي - طبع: دار الكتاب العـربي - بيروت - الطـبعـة الثانية عـشرة - ١٩٩٢.
- كتاب الصناعـتين - أبو هـلال العـسكري - تحـقـيـق: عـلـي محمـد البجـاوي، ومحمد أبو الفـضـل إبراهـيـم - المكتبة العـصرية بصـيدا وبيروت - ١٩٨٦م.
- كلمات الإمـام في التسامح والسـلام - د / أحـمـد محمد الطـيب شيخ الأزهـر.
- الـمثل السائر في أدب الكاتب والشاعـر - ابن الأثـير - تحـقـيـق: محمد محي الدين عـبـد الحـمـيد - المكـتبة العـصرية بصيدا وبيروت - ١٩٩٠م

References

1. Al-Qurʾān al-Karīm.
2. Buġyat al-Īḍāḥ li-Talkhīṣ al-Miftāḥ, by ʿAbd al-Mutaʿāl al-Ṣaʿīdī, published by the Faculty of Arts and its Press, Al-Gamamiz, 5th edition, n.d.
3. Dalāʾil al-Iʿjāz, by ʿAbd al-Qāhir al-Jurjānī, with commentary by Maḥmūd Muḥammad Shākir, published by Maktabat al-Usra, 2000 CE.
4. Al-Shawqiyyāt, by Aḥmad Shawqī, published by Dār al-Kitāb al-ʿArabī, Beirut, 12th edition, 1992 CE.
5. Kitāb al-Ṣināʿatayn, by Abū Hilāl al-ʿAskarī, edited by ʿAlī Muḥammad al-Bijāwī and Muḥammad Abū al-Faḍl Ibrāhīm, published by al-Maktaba al-ʿAṣriyya, Ṣaydā and Beirut, 1986 CE.
6. Kalimāt al-Imām fī al-Tasāmuḥ wa al-Salām, by Dr. Aḥmad Muḥammad al-Ṭayyib, Grand Imam of al-Azhar.
7. Al-Mathal al-Sāʾir fī Adab al-Kātib wa al-Shāʿir, by Ibn al-Athīr, edited by Muḥammad Muḥyī al-Dīn ʿAbd al-Ḥamīd, published by al-Maktaba al-ʿAṣriyya, Ṣaydā and Beirut, 1990 CE.

فهرس الموضوعات

الموضـــــوع **الصفحة**

مقـدمـة.....٩٦٩
الإمـام الأكـبر أ. د / أحـمـد الطـيـب.....٩٧١
سـيرته العـلمية والعـمـلـية:.....٩٧١
المبحـث الأول التصـوير الفـني عـن طـريق التشبيه:.....٩٧٣
المبحـث الثاني التصوير الفـنـي عـن طـريق الاستعـارة.....٩٨٨
المبحـث الثالث التصوير الفـني عـن طـريق الكـناية.....٩٩٧
المبحـث الرابع التصوير الفـني عـن طـريق بعـض ألوان البديع.....١٠٠٣
أهـم المراجـع.....١٠٠٨
فهرس الموضوعـات.....١٠١٠

والحمـد لله رب العالمـين